

## الفصل الأول

# مَدْخَلٌ

يؤثر عن أنشتين قوله ذات مرة ٠٠٠ اذا أردت أن تفهم الطريقة العلمية فلا تسأل العلماء أنفسهم ان يشرحوها لك ٠٠٠ ولكن الافضل أن تراقبهم أنت أثناء عملهم لترى وتفهم كيف تمارس الطريقة العلمية ٠٠٠

وقد ينطبق هذا القول على العملية التربوية تماما ، فليس استطاع الفرد أن يجمع نخبة من المدرسين الاكفاء في ميسادين علمية مختلفة ومن تخصصات مختلفة ، وأن يطلب منهم أن يصفوا بدقة سلوك المدرس كمدرس ، في الماضي وفي الحاضر ، فربما قد يتعرف من كلامهم على بعض ملامح وطبيعة عملية التدريس ، وقد يقف على مظاهر التغير التي طرأت على مداركنا ومفاهيمنا تجاه هذه العملية .

ولعلنا نلاحظ أن العاملين بعلم النفس التربوي خلال الخمسين عاما الماضية أو ما يقرب من ذلك ، قد ركزوا اهتمامهم على تفسير عملية التعلم ، وانحصرت بحوثهم وكتاباتهم في شرح

ونحنين كيفية حدوث التعلم عند الانسان . . . ولكن هذه الشروح وهذه التفسيرات تبنى فى معظم الحالات على نتائج تجاربهم على الفيران والقرودة والحمام وخلافه . . . ولا شك ان هناك فرقا بين موقف فار فى متاهة أو حمامة فى قفص وموقف طفل ضمن أطفال كثيرين ، داخل فصل دراسى ، داخل مدرسة ، ويتعلم عن طريق مدرس . فالعملية هنا ليست فقط عملية تماونية ومشتركة بل هى أيضا عملية تبادلية ومتكررة . وقد لا يكون دور المدرس هو أهم الادوار فى تلك العملية التبادلية المشتركة والمستمرة ، ولكنه بالضرورة دور هام لا يمكن اغفاله .

وقد نتساءل ما اذا كان التدريس فنا أم علما أم حرفة . . . وسأناقش هذا السؤال بشيء من الاسهاب فيما بعد ، ولكن سواء اعتبرنا التدريس فنا أو تكنولوجيا فلا بد ان نعترف بأنه عملية انسانية أصيلة تحدث أثرا معيناً ، فهى اذن وسيلة اتصال أو وسيلة تفاهم بين طرفين . وعلى ذلك فلا بد أن يوجد (مرسل) يبعث ( برسالة ) وأن ( تصل ) هذه الرسالة الى ( مستقبل ) ( بطريقة ) معينة . بمعنى أننا لا يمكننا القول ان مدرسا قد قام بعملية تدريس ناجحة اذا لم يوجد من تعلم منه شيئا . فنحن لا نستطيع التحدث عن التدريس بدون التحدث فى نفس الوقت عن التعلم . وقد تتضح هذه الفكرة اذا شبهنا التدريس بالمزف الموسيقى . . . فلو فرضنا ان فرقة موسيقية عزفت سيمفونية رائعة امام مجموعة من الصم . . . ومع كون الحاضرين صما ولم يسمعوا السيمفونية التى عزفت ، الا أننا لا يمكن ان نتكرر ان الفرقة الموسيقية قد عزفت سيمفونية رائعة . . . اليس كذلك ؟

يختلف الحال فى التدريس . . . فنحن لا يمكن أن نشهد أن

المدرس قد قدم درسا جيدا اذا لم يحدث هذا الدرس أثره المنشود على التلاميذ ، أى اذا لم يتعلم منه التلاميذ شيئا . وقد عبر جون ديوى عن هذه الفكرة عندما شبه المدرس بالبائع ، ومهمة البائع أن يبيع بضاعته للمشتريين فاذا لم يشتري أحسده بضاعته فلا يمكن أن تتم عملية بيع .

ولكن العكس فى هذه النظرية غير صحيح ، بمعنى ان التعلم لا يتوقف حدوثه على « التدريس » ، فهناك أشياء كثيرة مما نتعلمه فى حياتنا انما نتعلمه ، على طريقة الفئران فى المتاهات والحمام فى الاقفاص ، بدون مساعدة مدرس أو كما يقال نتعلمه من الحياة نفسها وبالتجربة والخطأ أو بالصدفة . . ويجدر بنا ألا نبالغ فى مدى مفهوم التعلم بدون مدرس ، لاننا فى الواقع وفى أكثر الأحيان نجد من يحصل محله ليتولى عملية التدريس . فمثلا الآباء والأمهات « يعلمون » أبناءهم المشى والكلام والاخلاق الحميدة ، والأطفال يعلمون بعضهم البعض اللعب والجري وتسلق الأشجار وبعض العادات والالفاظ . ويتعلم الشاب من صديقه أساليب التعامل والتعاون والاختاء والمشاركة . . . . وقد يتعلم أشياء ضارة أيضا . وتتعلم الفتاة من صديقاتها أصول اللبس والاناقة ومفاهيم عن الحياة والحب والصدقة ، وكثيرا وخصوصا فى وقتنا الحاضر ، يتعلم الآباء من أبنائهم مفاهيم ومعانى جديدة كحرية الرأى والتعبير عن النفس وتقبل الافكار والقيم المتغيرة والمخالفة لقيمهم وأفكارهم . . . . وبعض هذا التعلم يكون تعلمنا مقصودا واعيا ، وبعضه الآخر يحدث بدون عمد أو بدون وعى أو تخطيط . ومهما كان الامر فقد وجد من علم الفرد شيئا ما . . وقد نتجاوز قائلين فقد وجد مدرس .

موضوع هذا البحث هو التدريس الذى يتم بوعى وبتعمد

وبناء على تخطيط مسبق . والاهتمام هنا يتركز على وجهة نظر المدرس وما يتضمنه عمله من مسؤوليات ومهارات ، أكثر مما نهتم بوجهة نظر التلميذ وما يحدث له عندما يتعلم . وهذا الاتجاه مخالف لاتجاهات العديد من كتب التربية وعلم النفس التي لاحظت فيها اهتماما مركزا على عمليات التعلم أبعدها بعض الشيء عن الاهتمام بالمدرس وعملية التدريس ذاتها وربما أيضا عما يدرس .

ولا أنكر ان لهذا الاتجاه في كتابات التربية وعلم النفس ما يبرره ، فالتعلم كما ذكرت ، هو هدف عملية التدريس ومقياس الحكم عليها ، ولكن هذا التعلم لا يحدث الا نتيجة لتدريس جيد ، لذلك لزم الاهتمام والتركيز على دراسة عملية التدريس ذاتها وتحليل جوانبها المختلفة وهو هدف هذا البحث .